مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

المضامين الدعوية في عظة لقمان عليه السلام

دراسة تحليلية

د. عبد العزيز بن إبراهيم الشيبان

أستاذ مساعد بقسم الدعوة الثقافة الإسلامية، بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة القصيم

shieban@qu.edu.sa

ملخص البحث: يعد من أولويات العمل الدعوي وأهدافه النظر في دعوات الأنبياء والمرسلين والدعاة العاملين؛ لاستجلاء المضامين الدعوية، للتبصر بمنهجهم في تناولهم لما حوته من قضايا، وكيف كانت المعالجة، وفي هذا الإطار جاء هذا البحث؛ وعنوانه:(المضامين الدعوية في عظة لقمان – دراسة تحليلية)، والذي يهدف إلى الكشف عن المضامين الدعوية في عظة لقمان، بمنهج تحليلي يعين الداعية على الاستفادة منها في واقع الدعوة المعاصر، وقد كان من نتائج البحث: ما تأكد للباحث من احتواء العظة على كثير من القضايا الدعوية، وأهمها في الوجود الإنساني من حيث ترسيخ العقيدة، وتهذيب الخلق، وتقويم السلوك. وكذلك أيضا مراعاة العظة لفقه الأولويات حال عرضها للقضايا الدعوية، بدعم ما يهم المدعو أولا، ويأتي ضمن أولوياته. ثمّ التنوع في الأساليب الدعوية بما يتفق وحال المدعو.

ويوصي البحث بأهمية الإكثار من الدراسات التي تعنى بتحليل المشاهد الدعوية، واستخراج ما بها من مضامين يستفيد الدعاة من معالجتها في واقعهم المعاصر. ومن التوصيات كذلك: دعم البحوث المعنية بطرائق تربية النشء المسلم على العقيدة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: المضامين – الدعوة – لقمان – العظة.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

مقدّمة:

أحمدك اللهم حمداً يليق بجلالك وعظيم سلطانك، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، وأشهد أن لا إله إلا أنت ربي وحدك لا شريك لك، وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمداً عبدُك ورسولُك، وصفيُّك من خلقك وخليلُك، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنّ الدعوة إلى الله تعالى شرفٌ عظيم، ومرتقى كريم، ومنصب جليل؛ كما قال الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت : ٣٣]، ولقد اصطفى الله تعالى لأجله الأنبياء والمرسلين يبلغون عنه، ويدعون إليه، ويدلّون الخلق عليه ..و امتدّ هذا الشرف ليعم كل من اختاره الله واصطفاه من باقي الخلق ليكون من ورثة هؤلاء الأنبياء في حمل أمانة التبليغ، ودعوة الخلق إلى الحق سبحانه وتعالى، واقتفاء خطى الأنبياء، والسير على دربهم، والاستضاءة من أنوارهم، واتباع منهجهم، ومما يتصل بذلك الأمر قيام الداعية المعاصر باستجلاء المضامين الدعوية مما حواه القرآن الكريم من سيَر الأنبياء والصالحين من قضايا دعوية اقتداء بهم في نشرها وتبليغها وعرضها للمدعوين كما جاءت من موردها الصافي، ومنبعها الرائق الراقي، ومن ثمّ جاء البحث تحت عنوان: "المضامين الدعوية في عظة لقمان عليه السلام – دراسة تحليلية".

وتظهر أهمية هذا البحث في عظة لقمان ووصاياه من حيث:

- اشتمال عظته على كثير من القضايا في مجالي الدعوة والداعية.
- احتواؤها على منهجية واضحة ذات أثر بالغ في الدعوة والتعليم.
- هي زاد للداعية المعاصر من حيث الإعداد والتكوين، والدعوة ديناً وتبليغاً.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

- استنباط المضامين الدعوية وتحليلها، لتكون زادا للدعاة يتلمسون من خلالها طرائق الدعوة، وكيفية توظيفها في واقع الدعوة المعاصر.
- التعرف على منهج لقمان في دعوته، وما استعمله في سبيل ذلك من أساليب.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

تساؤلات البحث:

- ما مفهوم المضامين الدعوية؟
- ما أبرز المضامين الدعوية في مجالي الدعوة والداعية في ضوء عظة لقمان؟
- ما أبرز المضامين الدعوية في موضوع الدعوة في ضوء عظة لقمان؟
- ما أبرز المضامين الدعوية في أساليب الدعوة في ضوء عظة لقمان.؟

الدراسات السابقة:

وقف الباحث على مجموعة من الدراسات بيانها كالتالي:

– **تأملات دعوية إرشادية استشرافية في سورة لقمان،** محمد أمين بني عامر، وقد اهتم البحث ببيان القواعد الدعوية التي اشتملت عليها السورة، جمعها الباحث في ثمان قواعد، هي:

١– قيام الدعوات السماوية جميعاً على أساس الحجة والبرهان والأدلة الواضحة على وحدانية الله ووجوده.

٢– مراعاة أولويات الدعوة.

٣– الترغيب بالصحبة الطيبة والتحذير من الصحبة السيئة.

٤– بيان أدب الدعاة إلى الله.

٥– وجوب استعمال العقل.

٦– بيان عاقبة المكذبين بالدعوات السماوية.

٧– بيان بعض الوسائل التي تساعد على حفظ الدعوة منها.

٨– بيان سعة علم الله.

ومن خلال ذلك نجد البحث قد ركز في مضمونه على القواعد التي تقوم عليها الدعوة في ثنايا السورة بكاملها، دون الإشارة إلى المضامين الدعوية في عظة لقمان.

– **الدلالات التربوية المستقاة من سورة لقمان،** زينب جمو، حيث جاء الجزء الأصيل في البحث المعاني التربوية من خلال وصايا لقمان لابنه، وفيه وصايا لقمان لابنه والدلالات التربوية المستنبطة منها وأساليب التربوية التي تحتويها. والبحث شديد الصلة بالمجال التربوي، وتشير إلى ذلك الكلمات المفتاحية (المناهج التربوية، الدلالات التربوية، وصايا، أساليب التربوية.)

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

وعليه فالبحث يركز على الدلالات التربوية شديدة الصلة بالمجال التربوي، أما الموضوع محل الدراسة فيُعنى بالمضامين الدعوية في عظة لقمان في إطار حديث لقمان لابنه..

– **المضامين التربوية في سورة لقمان وأثرها على الفرد والمجتمع**، مجد أحمد محمد صباغ، وقد تناول الباحث أهم الآثار التربوية المستفادة من سورة لقمان وتوظيفها واقعا لترقية سلوكيات الفرد والمجتمعات وصولا إلى عملية بناء شامل وتام من خلال أساليب التربية المستنبطة من سورة لقمان.

ويلاحظ في هذا البحث معالجته للآثار التربوية المستفادة من سورة لقمان بكاملها، ولم يشر إلى المضامين الدعوية المستنبطة من عظة لقمان لابنه، وهذا ما قام الموضوع محل الدراسة بمعالجته والعناية به.

– **الإشارات التربوية في سورة لقمان (دراسة موضوعية)** للباحثة: مريمه عبد الله محمد الحاج، وهو بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في القرآن الكريم وعلومه، تناولت فيه الباحثة الحديث عن الإشارات التربوية في المأمورات والمنهيات، لإبراز الجانب التربوي في الخطاب القرآني واهمية تفعيله على أرض الواقع.

وهذا البحث يتناول بيان أهم ما ورد في سورة لقمان من إشارات تربوية لترقية سلوك الفرد والمجتمع، ولم يشر إلى أي من المضامين الدعوية التي تناولها بحثنا.

حدود البحث:

يتحدد البحث في إطار عظة لقمان لابنه من أول قوله تعالى﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [لقمان: ١٢] إلى قوله تعالى﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج التحليلي، سعياً في تحليل المشهد القرآني المتعلق بالعظة محل البحث، واستخراج ما فيه من مضامين دعوية.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الدراسة أن يأتي البحث مشتملاً على مقدمة وتمهيد ومباحث وخاتمة؛

مقدمة، وتشتمل على أهمية الموضوع، أهدافه، منهجه، خطته.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

التمهيد، وفيه: بيان مفردات العنوان: (المضامين – الدعوة – بين العظة والوصية)
المبحث الأول: المضامين الدعوية في مجالي الدعوة والداعية في ضوء عظة لقمان.
المطلب الأول: سمات الداعية في ضوء عظة لقمان.
المطلب الثاني: مسؤولية الآباء في دعوة الأبناء في ضوء عظة لقمان.
المبحث الثاني: المضامين الدعوية في موضوع الدعوة من خلال عظة لقمان
المطلب الأول: المضامين الدعوية في مجال العقيدة.
المطلب الثاني: المضامين الدعوية في مجال العبادات.
المطلب الثالث: المضامين الدعوية في مجال تهذيب الأخلاق.
المبحث الثالث: المضامين الدعوية في أساليب الدعوة في ضوء عظة لقمان.
المطلب الأول: أسلوب ترتيب الأولويات.
المطلب الثاني: أسلوب الموعظة الحسنة
المطلب الثالث: أسلوب التوكيد.
المطلب الرابع: أسلوب الرفق واللين والتلطف في الخطاب.
خاتمة: نتائج وتوصيات.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

تمهيد:

استهلالاً للبحث أوضح أهم مفردات العنوان على النحو التالي:

١ – مفهوم المضامين في اللغة:

المضامين جمع مضمون، وهو مأخوذ من (ضِمْن) التي تعني: الاحتواء، "وما جعلتَه في وعاء فقد ضمّنتَه إياه، وضِمْن الكتاب بالكسر: طيّه، وتضمّنه: اشتمل عليه، والمضامين: ما في أصلاب الفحول" (١).

و"ضمَّنتُ الشيءَ كذا: جعلتُه محتوياً عليه، فتضمَّنَه أي: فاشتمل عليه واحتوى، ومنه: (ضمَّنَ الله أصلابَ الفحول النّسلَ)، فتضمَّنَتْه أي: ضمنته وحوته" (٢).

"والمضامين: ما في بطون الحوامل من كل شيء كأنهنّ تضمَّنّه، ومنه الحديث: أنّ النبيَّ نهى عن بيع الملاقيح والمضامين، والمضامين: هي ما في أصلاب الفحول" (٣).

ومن الدلالة اللغوية لمعنى الكلمة نفهم أنّ مضمون الشيء هو محتواه وفحواه وما يُستنبط منه، وما كان باطن الشيء ومقابل ظاهره، فتتردّد في الأوساط العلمية عبارةُ: (الشكل والمضمون) أي: لفظ الشيء ومعناه، ويُقصَد به في ميدان الدعوة: ما اشتمل عليه وحواه الوعاء الدعوي من كل أمر يتعلق بالدعوة ديناً وتبليغاً.

٢– الدعوة في اللغة:

تأتي مادة دعا في اللغة لتدلّ على مدى التنوع والتوسع في معانيها، فتدلّ على:

أ – معنى الدعاء، فيقال: "دعوتُ الله أدعوه دعاءً: ابتهلتُ إليه بالسؤال ورغبتُ فيما عنده من الخير"(٤).

ب – معنى النِّداء، فيقال: دعا الرجل: ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلاناً أي: صحتُ به واستدعيته(٥)

ج – معنى الأذان، إذ "يطلق الداعي على المؤذن" (٦).

---

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي (ص١٥٦٤).

(٢) المصباح المنير الفيومي (٣٦٤/٢).

(٣) لسان العرب لابن منظور (٢٥٨/١٣).

(٤) المصباح المنير للفيومي (١٩٤/١).

(٥) انظر: لسان العرب لابن منظور (٢٥٨/١٤).

(٦) القاموس المحيط للفيروز آبادي (ص١٦٥٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

د – معنى الدعوة إلى الطعام، قال ابن منظور: "الدَّعوة: ما دعوتَ إليه من طعام وشراب"(٧).

هـ – معنى الاستغاثة، ومنه قوله تعالى ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]

٣– تعريف الدعوة اصطلاحاً:

قسم العلماء التعريف الاصطلاحي لها على اعتبارين:

– الاعتبار الأول: بمعنى الدِّين.

وقد عرّفها الشيخ محمد الغزالي بهذا الاعتبار بقوله: "إنها برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين"(٨).

وأورد لها الدكتور أحمد غلوش ثلاثة تعريفات، وهي:

"١– الدعوة الإسلامية: هي الخضوع لله والانقياد لتعاليمه بلا قيد ولا شرط.

٢– الدعوة الإسلامية: هي الدِّين الذي ارتضاه الله للعالمين، وأنزل تعاليمه وحياً على رسول الله ﷺ وحفظها في القرآن الكريم، وبيّنها في السنة النبوية.

٣– الدعوة الإسلامية: هي النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة، ومناهج السلوك للإنسان التي جاء بها محمد ﷺ من ربّه وأمره بتبليغها إلى الناس، وما يترتّب على ذلك من ثواب وعقاب في الآخرة"(٩)

– الاعتبار الثاني: بمعنى النشر والتبليغ.

وقد عُرِّفت بهذا الاعتبار بأنها "حثَ الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل"(١٠)، وقيل في تعريفها أيضًا: هي "العلم الذي تُعرَف به كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما يحوي من عقيدة وشريعة وأخلاق"(١١).

---

(٧) لسان العرب لابن منظور (١٤/٢٦٠).

(٨) مع الله لمحمد الغزالي (ص١٧).

(٩) الدعوة الإسلامية – أصولها ووسائلها لأحمد غلوش (ص ١٢).

(١٠) هداية المرشدين لعلى محفوظ (ص١٧).

(١١) الدعوة الإسلامية – أصولها ووسائلها لأحمد غلوش (ص١٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

٤- تعريف المضامين الدعوية:

سبق بيان الدلالات اللغوية لمادة (ضمن)، وأنها تعني – في سياق البحث –: المحتوى، أو فحوى الشيء وما يُفهم منه، وبناء على ذلك فيمكن سوق تعريف إجرائي للمضامين الدعوية بأنها: ما حوته عظة لقمان لابنه مما يتصل بالدعوة ديناً وتبليغاً برؤية منهجية يستفاد منها في واقع الدعوة المعاصر.

٥- بين العظة والوصية:

جاء التعبير عن الموقف الدعوي بأحد مشتقات الموعظة؛ إذ يقول الله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]، ولا يوجد ذكر لكلمة الوصية في هذا المشهد الدعوي ما خلا قوله تعالى﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤]، لكن الوصايا واضحة من خلال ما ذكرته الآيات من أمور يوصي بها لقمان ابنه.

وتشير الموعظة إلى نهج تربوي يخاطب الوجدان والعاطفة للفعل أو الترك، جاء في المصباح المنير: "يَعِظُه وعْظاً وعِظَةً: أمَرَه بالطاعة ووصّاه بها، وعليه قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ﴾[سبأ: ٤٦] أي: أوصيكم وآمركم، فاتّعَظَ أي: ائتمر وكفَّ نفسَه، والاسم: الموعظة، وهو واعظ والجمع: وعّاظ"(١٢).

و"الموعظة: النصح والتذكير بالعواقب، قال ابن سِيْدَه: هو تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب"(١٣).

وقد يحتمل أن يُعبَّر كذلك عن هذا الموقف الدعوي بالوصايا، واعتبار قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ ﴾ [لقمان: ١٣] إشارةً إلى أسلوب الموعظة الذي يتضمّن الترغيب والترهيب معاً.

وتشترك الوصية مع العظة في إثارتها لمشاعر المدعو، إذ تخرج من ذي حكمة وخبرة بتجارب الحياة بقصد النفع، وتجنب المحاذير، ومما ناسب كون نصائح لقمان عظة تربوية ربانيةُ مصدرها وأنها من الله تبارك وتعالى، ونظير ذلك قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[يونس: ٥٧].

---

(١٢) المصباح المنير للفيومي (٦٦٥/٢).

(١٣) لسان العرب لابن منظور (٤٦٦/٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

وقد جاءت كلمة (من) "الدالّة على الابتداء في الأشياء، لينبّه على أنّ ذلك صادر منه ومبتدأ من جهته تعالى"(١٤)، وكذا قوله ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] "يعني: البيان الذي في القرآن"(١٥) وهو كلام الله عز وجلّ.

أما الوصية فخلاصة تجارب من حكيمٍ يُقدِّمها لغيره بقصد الانتفاع، حيث قيل إنها: "التقدُّم إلى الغير بما يَعمَل مقترناً بوعظ"(١٦).

والعظة كذلك مصحوبة بمنهج يحمل على الامتثال، فهي آتية من الله عز وجل بمنهج دعوي يراعي ترتيب الأولويات، ويرسخ لمبدأ الأهم فالمهم، واقتران ذلك كله بأساليب دعوية تخاطب عقل ووجدان المدعو، ودروسا عملية تطبيقية لدعاة العصر كي يحذو الحذو، ويقتفوا الأثر.

(١٤) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٣٢١/١).
(١٥) الدر المنثور للسيوطي (١٠٥/٢).
(١٦) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٧٢٧/١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

المبحث الأول: المضامين الدعوية في مجالي الدعوة والداعية في ضوء عظة لقمان.

المطلب الأول: سمات الداعية في ضوء عظة لقمان.

تظهر أهمية الحكمة كأسلوب وصفة يتحلى بهما الداعية من خلال عظة لقمان عليه السلام حين يتحدّث القرآن الكريم عن هذه العطية الربانية التي منحها الله له فيقول تعالى﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [لقمان: ١٢]، ويشير هذا إلى أهمية إعداد الداعية، وكون ذلك ضرورة في النشر والتبليغ كما قال سبحانه ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[الأنعام: ١٢٤]، فقد هيأ الله عز وجلّ أنبياءه، وكمّلهم وجمّلهم بمحاسن الخلال وكريم الخصال وأعدّهم لحملة أمانة التبليغ عنه سبحانه وتعالى.

ويمكن استلهام بعضاً من هذا التكوين في عظة لقمان والذي يُمثِّل مجموعةً من السمات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية المعاصر، ويمكن وضعها في إطار من تلك المنحة التي وهبها الله للقمان عليه السلام، نقرأ في ذلك قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [لقمان: ١٢].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي: "يخبر تعالى عن امتنانه على عبده الفاضل لقمان بالحكمة، وهي العلم بالحق على وجهه وحكمته، فهي العلم بالأحكام، ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام، فقد يكون الإنسان عالماً ولا يكون حكيماً، وأما الحكمة فهي مستلزمة للعلم بل وللعمل؛ ولهذا فُسِّرت (الحِكمة): بالعلم النافع والعمل الصالح.

ولمّا أعطاه الله هذه المِنّة العظيمة أمره أن يشكره على ما أعطاه؛ ليبارك له فيه وليزيده من فضله، وأخبره أنّ شكر الشاكرين يعود نفعه عليهم، وأنّ من كفر فلم يشكر الله عاد وبال ذلك عليه"(١٧).

وأعني بـ(الحِكمة) التي ينبغي أن يتصف بها الداعية – إلى جانب ما تعنيه من العلم النافع ومعرفة الأحكام وأسرارها – ذلكم المقوّم الذي يستطيع الداعية من خلاله السيرَ في منهجه البلاغي دون تخبط من حيث كونها وضعٌ للشيء في موضعه من غير إفراط أو تفريط، وهي التي أوضحها العلامة ابن القيم بقوله: "أن تعطي كل شيء حقَّه، ولا تُعدّيه حدَّه، ولا تُعجِله عن وقته، ولا تُؤخّره عنه"(١٨).

---

(١٧) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص٦٤٨).

(١٨) مدارج السالكين لابن القيم (٢٩٤/٣)

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

وهي في جانبها الفطري عطاء من الله تعالى ومنحة منه، وفي الأثر أنّ عمر بن الخطاب كتب إلى أبي موسى الأشعري: «الحكمة ليست عن كِبَر السِّنّ، ولكنه عطاء الله يعطيه من يشاء، فإياك ودناءةَ الأمور ومَرَاقّ الأخلاق»"[١٩]، أما في جانبها الكسبي فيُحصِّلها العبد بإتيان أسبابها وانتفاء ما يناقضها.

وتقتضي الحكمة كذلك أموراً هي من أهم ما يلزم الداعية التحقق به في نشر دعوته، وهذا ما عليه جلّ المفسرين في بيانهم للحكمة التي وهبها الله لقمان عليه السلام؛ فقد أشار أبو إسحاق الثعلبي (ت٤٢٧هـ) إلى أنها: "العقل والعلم والعمل به، والإصابة في الأمور"[٢٠].

ومن هنا يمكن إيجاز معالم الحكمة في عظة لقمان في أربعة تُعَدّ أصلاً لغيرها، هي:

- **رجاحة العقل:**

وهب الله تعالى الإنسان العقل كفارق يميزه به عن باقي المخلوقات، ومظهراً من مظاهر تكريمه، إذ به يُعرَف الخالق سبحانه بالنظر في كتابه المسطور والمنظور، فيتأمل ويتدبّر في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار، وتصريف الرياح والسحاب، ومنتهى الإبداع والإتقان في الخلق والإيجاد، ولا يكون هذا الفهم على صورته الكاملة إلا ممن اتصف برصانة ورجاحة العقل، وهؤلاء هم أولوا الألباب الذين يتفوقون على باقي العقلاء في فهم دقائق الأمور فوق ما يشاركونهم فيه من إدراك ظواهر الأشياء، فبالعقل يفكّرون ويستدلّون، ويحلّلون ويرجّحون، ويحصّلون العلوم والمعارف، ويُسخِّرونها في عمارة الحياة بالحق والعدل.

وإذ يوجه الإسلام أتباعه إلى إعماله وعدم إهماله نجدها دعوة صريحة لا مواربة فيها، يظهر ذلك واضحاً جلياً في ختام كثير من آي الذكر الحكيم المرغبة في إعمال العقل وتفعيل خصائصه من التذكر والتدبر والاعتبار والاتعاظ والتأمل.

وهذا الطلب هو للإنسان عامة وللداعية بصفة خاصة، إذ يقابل أصنافاً من المدعوّين ليجد من بينهم من تلزمه الحجة الواضحة والبرهان القوي، فناسب أن يكون فطناً ذكياً صاحب ذهن وقاد وعقل رشيد ورأي سديد، يجيد التعامل مع مدعوّين يحتاجون إلى الإقناع البرهاني، وخصوم لا يجدي معهم إلا الدليل المفحم لشكوكهم، المبطل لمزاعمهم.

وفي واقع الدعوة المعاصر يجب اتصاف الداعية برجاحة العقل ليفقه مقاصد دعوته، ويرتّب بين أولوياتها، ويستفيد من الفرص المعطاة، ومجابهة التحديات وإدارة الأزمات، واختيار الأوقات المناسبة للعظة والبلاغ، ويلزم العقل الصريح نشأةً في محضن العبادة،

(١٩) الإشراف في منازل الأشراف لابن أبي الدنيا (ص٢٣٦).
(٢٠) الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي (٣١٢/٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

وارتباطاً بالإيمان يحفظه من الزيغ والشطط، يحصّل الداعية ذلك بعُدّة روحية تقوم على قوة الصلة بالله تعالى، وإدامة التعلق بالقرآن الكريم تلاوة وفهماً وتدبراً وعملاً، والتخلق بمحامد الأخلاق وكريم الخصال، وقد أشار إلى ذلك العلامة ابن القيم حيث قال: "أحسن ما قيل في الحكمة قولُ مجاهد ومالك: إنها معرفة الحق والعمل به، والإصابة في القول والعمل، وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن، والفقه في شرائع الإسلام، وحقائق الإيمان"(٢١).

ولا ريب في أنّ من معطيات رجاحة العقل الحضورَ، وسرعةَ البديهة، وحُسنَ التخلُّص، وإجادةَ لغة الحديث وفنون الحوار والمناظرة ...إلخ

- **سداد الرأي:**

سداد الرأي من مظاهر الحكمة التي أوتيها لقمان عليه السلام وأحد الصفات التي تلزم الداعية المعاصر، فهذه الوصايا بما فيها من حُسن في العرض، وقوة في الاستدلال، وتجوالٍ بين دروب البلاغة والبيان وفقهٍ لواقع الإنسان، وبيانٍ لما يقيم المجتمع سليماً من الأحقاد والأضغان يستلزم ذلك كلُّه رجاحةَ العقل وسداد الرأي، والإصابة في القول والفعل، وإذا كان سداد الرأي من الأخلاق الفاضلة التي أمر الله بها عباده فهو للدعاة ألزم وأوجب كما قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]، ويلاحظ ارتباط القول السداد بالأمر بتقوى الله عز وجل، ونظيره قوله تعالى ﴿ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٩].

وقد أعطى الله عز وجل على سداد القول الثواب الجزيل في قوله تعالى﴿ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]، يقول الفخر الرازي: "أرشدهم إلى ما ينبغي أن يصدر منهم من الأفعال والأقوال، أما الأفعال فالخير، وأما الأقوال فالحقّ لأنّ من أتى بالخير وترك الشر فقد اتقى الله، ومن قال الصِّدقَ قال قولاً سديداً، ثم وعدهم على الأمرين بأمرين :

على الخيرات: بإصلاح الأعمال؛ فإنّ بتقوى الله يصلح العمل، والعمل الصالح يرفع ويبقى، فيبقى فاعله خالداً في الجنة.

وعلى القول السديد: بمغفرة الذنوب" (٢٢).

---

(٢١) مدارج السالكين لابن القيم (٤٧٨/٢).

(٢٢) التفسير الكبير للرازي (١٨٦/٢٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

ولا ريب في أنّ سداد الداعية في قوله وفعله دالٌّ على رجاحة عقله، وكمال التجربة لديه، وعليه صلاح عمله في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.

- **العلم:**

العلم من متطلبات الحكمة التي أوتيها لقمان، حيث اشتملت عظته على كثير من المضامين الدعوية التي يستحيل عرضها على وجه صحيح دون علم وبصيرة وفقه لواقع الدعوة والمدعو، ومن الأسس التي يقوم عليها عمل الداعية العلم، فهو عُدَّته وزاده في رحلة البلاغ، ولا يسوغ في مجال الشرع ومنطق العقل خوض ميدان الدعوة دون علم وبصيرة، لتبيان مراد الله من كلامه ووحيه، وتوجيه أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بالدليل الواضح والحجة الظاهرة، يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، "أي: على حُجّة واضحة، والبصيرةُ: المعرفة التي يتميّز بها الحق من الباطل"(٢٣).

ويشير القرآن الكريم في كثير من المواطن إلى ضرورة اصطحاب العلم قبل العمل الدّعوي كما في قوله تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد:١٩]، "أي: دُمْ على العلم بذلك، واستدلّ بعضُهم بهذه الآية على أنّ النظر والعلم قبل العمل؛ لأنه قدَّمَ قوله ﴿ فَٱعْلَمْ ﴾ على قوله ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ ﴾"(٢٤).

وقد بوّب الإمام البخاري رحمه الله لهذه الآية الكريمة باباً بعنوان: العلم قبل القول والعمل(٢٥).

يقول البدر العَيني: "هذا بابٌ في بيان أنّ العلم قبل القول والعمل، أراد أنّ الشيء يُعلَم أولاً، ثم يقال ويُعمَل به، فالعلم مقدَّم عليهما بالذات، وكذا مقدَّم عليهما بالشرف؛ لأنه عمل القلب، وهو أشرف أعضاء البدن.

وقال ابن بطَال: العمل لا يكون إلا مقصوداً (يعني: متقدِّماً)، وذلك المعنى هو علم ما وعد الله عليه بالثواب.

---

(٢٣) فتح القدير للشوكاني (٣/٧١).

(٢٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٤/٤٨).

(٢٥) صحيح البخاري (١/٣٧).

وقال ابن المُنيّر: أراد أنّ العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو متقدِّم عليهما؛ لأنه مصحِّحٌ النيّةَ المصحِّحةَ للعمل"(٢٦).

وتستبين أهمية العلم للداعية من خلال عظة لقمان في عدة أمور موجزة، منها:

- حيازة الشرف والرفعة والمكانة بين الناس كما قال تعالى ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة :١١].
- تصحيح العقيدة وتبيين الحلال من الحرام، ولا يتأتى ذلك إلا بالعلم والتفقه في الدين.
- تطبيق المنهج الدعوي بما يستلزمه من معرفة الوسائل والأساليب، والتخطيط للدعوة باتباع مراعاة الأولويات والمفاضلة بينها، والتدرج في الدعوة، ومراعاة أحوال المدعوّين ... إلخ.

- **العمل بالعلم:**

وتلك ثمرة العلم وبركته أن يكون الداعية أول المنفِّذين والمطبِّقين لدعوته، يلمس فيه المدعوون الصدق وحرارة الإيمان بما يدعوهم إليه، وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ الداعية الحق هو من يستخدم علمه في إصلاح نفسه، والتوق إلى كمالها، ويمكن التأصيل لهذا المفهوم من خلال قول الله تعالى ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤].

يقول الحافظ ابن كثير: "﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ أي: أمرناه أن يشكر الله عز وجل على ما أتاه الله ومنحه ووهبه من الفضل الذي خصصه به عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه، ثم قال تعالى ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾ أي: إنما يعود نفع ذلك وثوابه على الشاكرين"(٢٧)

وشُكْر الله على نعمه وعطاياه عبادة تستحق أن يُعمِل الإنسانُ – لا سيما الداعية – جهدَه في تحقيقها والتخلق بها، ثم السعي في إصلاح الغير، وتهذيبهم وتكميل فضائلهم، ونلمس هذا في عظة لقمان لابنه ودعوته وتربيته، فعلى الداعية المعاصر استشعار هذه المسؤولية نحو نفسه بما يعمل على نجاتها، ومسؤوليته نحو أهله بالسعي كذلك بما يقيهم عذاب الله وسخطه، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [سورة التحريم : ٦].

- من مواطن الحكمة في عظة لقمان لابنه:

(٢٦) عمدة القاري للعيني (٣٩/٢).

(٢٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٠٠/٦).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

وخلاصة ما يمكن استنباطه من مواطن الحكمة في عظة لقمان لابنه، وتمثل إضاءات للداعية المعاصر في العملية الدعوية، ما يلي:

- السعي نحو إكمال النفس ثم تكميل الغير.
- استشعار المسؤولية الدعوية نحو المدعو، فهو حريص عليه، شفوق به، لا يريد له إلا الخير.
- مراعاته لفقه الأولويات في الدعوة، حيث بدأ بترسيخ العقيدة الإسلامية، ثم الشريعة ثم إلى التهذيب الخلقي.
- التنوع في الأساليب الدعوية ما بين ترغيب وترهيب وتوكيد وتشبيه. إلخ
- الاستمرارية في عملية البلاغ وتعاهد المدعو، يشير إليها التعبير بلفظ المضارع ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ [لقمان: ١٣].

المطلب الثاني: مسؤولية الآباء في دعوة الأبناء في ضوء عظة لقمان.

الأهل والأقربون هم أكثر أصناف المدعوين الذين يتصل بهم الداعية اتصالاً مباشراً، وتربط بينه وبينهم وشائج القربى والمودة والرحمة، ومن هنا تأتي أولويتهم في الدعوة، انطلاقاً من قول الله تعالى لنبيه صلي الله عليه وسلم ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢١٤]، "ويدلّ على أنّ للأقرب فالأقرب منا مزيّةً في لزومنا تعليمهم وأمرهم بطاعة الله تعالى"(٢٨)

وقد امتثل النبي صلي الله عليه وسلم أمر ربه، **فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حين أَنْزَلَ الله عز وجل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢١٤] قال: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ – أو كَلِمَةً نَحْوَهَا –: اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ من اللَّهِ شيئاً، يا بَنِي عبد مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ من اللَّهِ شيئاً، يا عَبَّاسُ بن عبد الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ من اللَّهِ شيئاً، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رسول اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ من اللَّهِ شيئاً، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي ما شِئْتِ من مَالِي، لَا أُغْنِي عَنْكِ من اللَّهِ شيئاً**"(٢٩).

ولم يَفتُر عن دعوتهم إلى الله تعالى، وخير شاهد لذلك ما تذكره كتب السنة من موقفه مع عمّه أبي طالب وهو على فراش الموت، **فعن سعيد بن المسيّب عن أبيه أنه أخبره أنه: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم،**

(٢٨) أحكام القرآن للجصاص (٣٦٥/٥).

(٢٩) صحيح البخاري (١٠١٢/٣) برقم ٢٦٠٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بن هِشَامٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بن أبي أُمَيَّةَ بن الْمُغِيرَةِ، قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِأَبِي طَالِبٍ: يا عَمِّ قُلْ: (لَا إِلَهَ إلا الله) كَلِمَةً أَشْهَدُ لك بها عِنْدَ اللَّهِ، فقال أبو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بن أبي أُمَيَّةَ: يا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عن مِلَّةِ عبد الْمُطَّلِبِ؟!

فلم يَزَلْ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَعْرِضُهَا عليه وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حتى قال أبو طَالِبٍ آخِرَ ما كَلَّمَهُمْ: هو على مِلَّةِ عبد الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: (لَا إِلَهَ إلا الله)، فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَمَا والله لَأَسْتَغْفِرَنَّ لك ما لم أُنْهَ عَنْكَ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى فيه " ما كان لِلنَّبِيِّ " الْآيَةَ "(٣٠).

وفيه تعليم للدعاة من بعده أن يقوم كل منهم بواجب البلاغ نحو أهله والأقربين، يدعوهم إلى الله تعالى ويدلهم عليه، ويحفز هممهم ويتواصى معهم على الخير دائماً، مستعملاً ما أمكنه من الوسائل والأساليب المشروعة، متلمساً ومستأنساً بما جاء في أخبار الأنبياء والمرسلين في دعوتهم لأهليهم وأقربائهم وبنيهم.

ومن أولى المستهدفين بالدعوة هم الأبناء بتوجيههم وتنشئتهم على صحيح العقيدة، فالأب كما هو مسؤول عن تغذية ولده مادّياً، فهو مسؤول كذلك عن تربيته روحياً، حريص بدافع الرحمة والشفقة وعاطفة الأبوة على إنقاذه من براثن المعصية وسوء العاقبة، قال الله تعالى﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ** ﴾ [سورة التحريم: ٦]، "أي: مُرُوهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر، ولا تدعوهم هَمَلاً فتأكلَهم النار يوم القيامة"(٣١).

وقد يجد الآباء بعض العناء والمشقة في دعوة الأبناء، لذلك كان لزاماً التحلي بالصبر والأناة، وعدم تعجل النتائج، فأمر استئصال العادات السيئة من النفوس التي استمرأتها ليس أمراً هيناً، فغالباً يحتاج الأمر إلى الصبر وتكرار المحاولة، مع تنوع الوسائل والأساليب دون تراخٍ ودون ضجر أو ملل.

والمتتبع لقصص الأنبياء في القرآن الكريم يجد منهجاً متكاملاً في كيفية دعوة الأبناء وإرشادهم إلى الله تعالى، وسنجد في ثنايا هذه الدراسة وضوح ذلك المنهج في عظة لقمان لابنه.

---

(٣٠) صحيح البخاري (٤٥٧/١) برقم ١٢٩٤.

(٣١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢١٣/٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

المبحث الثاني: المضامين الدعوية في موضوع الدعوة من خلال عظة لقمان.

المطلب الأول: المضامين الدعوية في مجال العقيدة.

* توحيد الله عز وجل: تتجلى هذه العظة البالغة في قول الله ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]، وقوله تعالى ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٥]، وقوله ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ١٦].

وهذه الآيات وما في معناها تؤكد أن كلمة التوحيد هي أساس دعوة كل نبي ورسول؛ إذ كان شعارهم جميعاً أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، فما من نبي أو رسول إلا وجاء يدعو إلى عبادة الإله الواحد الأحد الفرد الصمد من لا شريك له ولا ولد، إذ يقول الله تبارك وتعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، ويقول جلّ شأنه ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ومعنى ذلك أنه جَرَت سنة الله تعالى في خلقه أن يرسل في كل أمة رسولاً يبلغ عنه تعالى، داعياً إلى توحيده وتنزيهه عن الشريك والولد، ومثله قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

والناظر في دعوة الأنبياء والمرسلين يجد ذلك الأمر واضحاً؛ فنوح عليه السلام يقول لقومه ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وصالح عليه السلام يقول لقومه ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وشعيب عليه السلام يقول ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وإبراهيم عليه السلام ينكر على قومه الشرك، فيقول لهم ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٧]، ويعقوب عليه السلام – حين حضرته المنيّةُ – يقول لبنيه: ما تعبدون من بعدي؟ فكان جوابهم ﴿ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وبكلمة التوحيد يخاطب الله نبيه موسى

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

عليه السلام قائلاً ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه: ١٤]، وحينما يسأل فرعون موسى عليه السلام قائلاً : وما ربُّ العالمين؟ يجيبه موسى عليه السلام قائلاً إنه ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٤]، وكانت (لا إله إلا الله) أساس دعوة المسيح عليه السلام إذ قال لقومه ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ [المائدة: ٧٢]، ثم جاءت الدعوة الخاتمة وبثت دلائل التوحيد في أرجائها فأوجبت إسلام الوجه لله وحده عقيدة وشريعة وسلوكاً.

ومن خلال ما سبق ندرك أنّ قضية التوحيد هي أساس الرسالات الإلهية وعمودها الفقري، إلا أنّ ما أصاب الرسالات السابقة على الإسلام من بُعد عن طريق التوحيد ما بين بتحريف وتبديل غيّرَ ملامحها وطمس معالمها.

وإذ تُقرّر عظةُ لقمان عقيدةَ التوحيد بالدعوة إلى توحيد الله تعالى وتنزّهه عن الشريك تشير إلى مقتضيات ذلك التوحيد بإبراز الصفات الثابتة لله تعالى كعلمه سبحانه وإحاطته بكل شيء، وأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، فقد وَسِعَ كلّ شيء علماً، وفيه فائدة جليلة الأثر، حين يبثّ الداعية في نفس المدعوّ ذلكم الإيمان في قلبه بأنّ الله تعالى مطّلع عليه يعلم سِرَّه وعلانيته، ويعلم السِّرَّ وما تخفي الصدور.

يقول أبو عبد الله الرازي في تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ [لقمان: ١٦]: "أثبت الله الرؤية والعلم مع انتفاء الشرائط فقوله: ﴿ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ ﴾ إشارةٌ إلى الصغر، وقوله: ﴿ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ ﴾ إشارةٌ إلى الحِجَاب، وقوله: ﴿ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ إشارةٌ إلى البُعد فإنها أبعد الأبعاد، وقوله: ﴿ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ إشارةٌ إلى الظلمات؛ فإنّ جوف الأرض أظلم الأماكن، وقوله: ﴿ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ ﴾ أبلغ من قول القائل: يعلمها الله؛ لأنّ من يَظهَر له الشيء ولا يَقدِر على إظهاره لغيره يكون حالُه في العلم دون حال من يَظهَر له الشيء ويُظهِره لغيره، فقوله: ﴿ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ ﴾ أي: يُظهِرُها الله للإشهاد، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ ﴾ أي: نافذ القدرة ﴿ خَبِيرٞ ﴾ أي: عالم ببواطن الأمور"(٣٢).

(٣٢) التفسير الكبير للرازي (١٢١/٢٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

ويقول ابن عاشور: "الإتيان: كنايةٌ عن التمكن منها، وهو أيضاً كناية رمْزيَّة عن العلم بها؛ لأن الإتيان بأدقّ الأجسام من أقصى الأمكنة وأعمقها وأصلبها لا يكون إلا عن علمٍ بكونها في ذلك المكان، وعلمٍ بوسائل استخراجها منه"(٣٣)

وحقيق بذلك أن يخلق في نفس المدعوّ توجّهاً نحو المراقبة الذاتية، فلا يرضى أن يجده الله حيث نهاه، ولا يفتقده حيث أمره، وتلك من مظاهر مسؤولية الآباء نحو أبنائهم أن يغرسوا تلك العقيدة في نفوسهم، وفي هذا الإطار يأتي الحديث عن:

*دور الآباء في تنشئة الأبناء على العقيدة الحقة في ضوء عظة لقمان:

من أهم ما تجب التنشئة عليه ذلكم هو الرابط العقدي وما يفرضه ذلك من تربية الطفل منذ نعومة أظفاره على عقيدة التوحيد التي لا يشوبها ريب أو شك، ونلاحظ ذلك في عظة لقمان حين يربّي ولده على التوحيد الخالص، ويستشعر تلك المسؤولية في مناداته بقوله: ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾ مستعملاً تلك الرابطة التي تقتضي العناية والاهتمام والشفقة وإرادة المصلحة دون أدنى مقابل؛ وبمقتضاها يكون الداعي حريصاً على المدعو، مشفقاً عليه من مغبّة العاقبة، فيعظ لقمان ابنه قائلاً: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]، فلا تسوّي بين الخالق والمخلوق، ولا تُعرِّض نفسك لسخط الله وعقابه، ثم يتدرّج معه في ترسيخ عقيدة التوحيد ببيان ما يجب في حق الإله الواحد وهو الله عز وجلّ بإثبات العلم بدقائق الأمور وخفايا الصدور والإحاطة الكلية بكل ما في الكون.

وهذا المنهج حقيق بأن يولد في نفس المدعوّ خلق المراقبة لله تعالى واستشعار وجوده واطلاعه عليه كل حين.

إنّ تعويد الطفل على تحمُّل المسؤولية لا بد أن يسبقه إحساس من الآباء بمسؤوليتهم نحو أبنائهم برعايتهم مادياً ومعنوياً، لا سيما التنشئة على العقيدة الحقة، ففي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"الرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وهو مسؤولٌ عن رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا ومسؤولةٌ عن رَعِيَّتِهَا"**(٣٤)، والمسؤولية أكبر فيما يتعلق بجانبه الروحي والديني لدى الطفل بدلالته على الله تعالى وتعليمه أمور دينه وإعطائه زاداً إيمانياً، وجرعات خُلُقية تصله بالآخرة اتصالاً، فلا فائدة إذا ربح الدنيا وخسر الآخرة، وترشد تعاليم الإسلام إلى أنّ الزوجة في بيتها حين تكون أُمّاً لصغار فهي شريكة لزوجها في رعايتهم وتربيتهم وغرس العقيدة في نفوسهم، وهي مثال يحتذى وأثر يقتفى.

---

(٣٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٦٣/٢١).

(٣٤) صحيح البخاري (٢٩٩/١) برقم ٨٥٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

إنّ تربية الأبناء على العقيدة الحقة لا تعني فقط تكوين الاعتماد على النفس في قضاء مصالحهم وممارسة حياتهم، والقدرة على مواجهة المواقف وتحمل التبعات وردود الأفعال، بل من الجائز أن يتسع الإطار ليشمل تحمل المسؤولية والتدريب عليها حيث الاحتياط والتصون عن إثارة الشبهات حوله والبعد عن مواطن الريب والشكوك وإساءة الظنون صيانة لنفسه، ورعاية لمن ينتمي إليهم وينتمون إليه من وَالدين بذلا ما وسعهما الجهد في سبيل تربيته وتنشئته. ومن إخوة وأقارب يتأذون بإيذائه لنفسه ...إلخ حيث تحدوه العقيدة إلى الوجهة الصحيحة، وتذكره دوماً بأنه لا يعيش وحده في هذه الدنيا، وأن ما قد يوحي به شيطانه من مخالفات أمر يتجاوز أثره إلى من يتصل بهم من أهل وأقرباء.

وقد أشارت السنة المطهرة إلى ذلك النوع من السلوك، ففي صحيح البخاري من حديث **عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ من أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، قِيلَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قال: يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فيَسُبّ أُمَّهُ"**(٣٥)، ولاحظ أنّ سؤال السائل كان لاستبعاد حدوث ذلك! إذ كيف يلعن الرجل والديه؟!

ومما يشير إليه الحديث أن من يتسبب في لعن والديه غير متحمل لمسؤولية احترامهما وعدم إلحاق الخزي بهما، وقد نلاحظ أنّ هنالك من الآباء من يسعى في تدليل ابنه طويلاً دون أن يدربه على تحمل المسؤولية، حتى وإن بدت أمارات ذلك على الطفل في سن مبكرة، وفي ذلك ضرر بالغ، إذ ينبغي على الوالد تشجيع ولده وتدريبه على تحمل المسؤولية واكتساب الثقة بالنفس حتى ينجح في إدارة حياته بشكل إيجابي، وتروي لنا السنة المطهرة نموذجاً يوضح ذلك، **ففي صحيح البخاري أن سيدنا عُمَر رضي الله عنه قال يوماً لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: "فِيمَ تَرَوْنَ هذه الْآيَةَ نَزَلَتْ ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٦]؟ قالوا: الله أَعْلَمُ، فَغَضِبَ عُمَرُ فقال: قُولُوا نَعْلَمُ أو لَا نَعْلَمُ، فقال ابن عَبَّاس: في نَفْسِي منها شَيْءٌ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قال عُمَرُ: يا ابن أَخِي، قُلْ ولا تَحْقِرْ نَفْسَكَ، قال ابن عَبَّاسٍ: ضُرِبَتْ مَثَلًا لِعَمَلٍ، قال عُمَرُ: أَيُّ عَمَلٍ؟ قال ابن عَبَّاسٍ: لِعَمَلٍ، قال عُمَرُ: لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عز وجل، ثُمَّ بَعَثَ الله له الشَّيْطَانَ فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حتى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ"**(٣٦).

---

(٣٥) صحيح البخاري (٢٢٢٨/٥) برقم ٥٦٢٨.

(٣٦) صحيح البخاري (١٦٥٠/٤) برقم ٤٢٦٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

يقول ابن حجر العسقلاني: "في الحديث قوّة فهم ابن عباس وقرب منزلته من عمر وتقديمه له من صغره، وتحريضُ العالم تلميذه على القول بحضرة من هو أسنّ منه إذا عرف فيه الأهلية لما فيه من تنشيطه وبسط نفسه وترغيبه في العلم"(٣٧)، وهكذا ينبغي أن يشجع الآباء أبناءهم على تحمل المسئولية والسير بخطي واثقة في طريق الخير والحق.

○ الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر في ضوء عظة لقمان:

ومما عرضته عظة لقمان قضية الإيمان باليوم الآخر، وهو من المضامين الدعوية التي شملها مجال العقيدة وأصول الإيمان إذ يقول الله تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، **وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ، ما الْإِيمَانُ؟ قال: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ**"(٣٨) وقد وضحتها عظة لقمان في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ ﴾

وقد تكررت هذا الجملة في مواطن من القرآن الكريم وتشير إلى أنّ المرجع والمصير إلى الله في اليوم الآخر للحكم والفصل بين العباد، من مثل قوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وحيث جاءت هذه الجملة في عظة لقمان بعد الأمر بتوحيد الله تعالى، والإحسان إلى الوالدين، والمصاحبة بالمعروف ولو كانا غير مسلمين، إذ يقول الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤]، ويقول تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٥]، وفي بيان قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ ﴾ يقول الشوكاني: " ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ ﴾ جَمِيعًا لَا إِلَى غَيْرِي ﴿ فَأُنَبِّئُكُم ﴾ أي: أخبركم عند رجوعكم بما كنتم تعملون من خير وشر، فأجازي كل عامل بعمله"(٣٩)

---

(٣٧) فتح الباري لابن حجر (٢٠٢/٨).

(٣٨) صحيح مسلم (٣٩/١) برقم ٩.

(٣٩) فتح القدير للشوكاني (٢٧٤/٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

وبذا فإن الآية الكريمة تخبر بأنه الجميع مرده إلى الله يوم القيامة للمجازاة على الأعمال، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي: ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ ﴾ الطائع والعاصي والمُنِيب وغيره، ﴿ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ فأُجازيك على إيمانك، وأُجازيهما على كفرهما، ثم أُجازي كلّاً منكم بما صدر عنه من الخير والشر، فلا يخفى على الله من أعمالهم خافية"(٤٠).

ولا شك أنّ استحضار الإيمان باليوم الآخر وما فيه من أمور غيبية باعث على إحسان الأعمال، والتزود والإكثار من الطاعات، ودوام العمل على القرب من الله تعالى، وهو ما يحرص عليه الداعية في دعوته.

المطلب الثاني: المضامين الدعوية في مجال العبادات.

وحيث تُمثل الصلاة عماد الدين وأظهر العبادات جاءت الوصية بإقامتها في عظة لقمان في قوله تعالى حكاية عنه ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [لقمان: ١٧]، ولا يخفى هذا التدرُّج في الانتقال من مجال العقيدة إلى مجال العبادات، يقول أبو عبد الله الرازي: "لمّا منعه من الشرك وخوَّفَه بعلم الله وقدرته أمَرَه بما يلزمه من التوحيد؛ وهو الصلاة وهي العبادة لوجه الله مخلصاً"(٤١).

ومن الحقائق الثابتة أنّ عبادة الله تعالى من أهم مقاصد الدين الحنيف التي تبين غاية الإنسان ووجهته في هذه الحياة، وتحدّد مصيره الأخروي، ومن ثمّ تتابعت أساليب الدعوة إلى عبادة الله وحده دون سواه، ما بين نصوص تشتمل على الأمر المباشر، أو بما يربط بين العبادة وبين أوجه استحقاقه تعالى للتوحيد، أو بما يحقق للإنسان النفع أو يدفع عنه الضر في العاجل والآجل، وبعد تحقق كلمة التوحيد في قلب العبد وعقله وكيانه كله فإنه يهب حياته كلها لله رب العالمين، في حلّه وترحاله، وفي حركاته وسكناته، وفي خلوته وجلوته ..مع الله ..مع بني جنسه ..مع دواخل نفسه.. مع مفردات الكون من حوله...

وشاهد ذلك قوله تعالى ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢] حيث تضع هذه الآية الكريمة سياجاً وضماناً للإنسان ضد انحراف التوجه والقصد، فتحصنه ضد داء الفصام بين العقيدة والشريعة والتطبيق العملي لهما –

(٤٠) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص٦٤٨).
(٤١) مفاتيح الغيب للرازي (١٢١/١٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

وقد ذمّ الله تعالى ذلك في قوله سبحانه ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٣] – أو تفريغ تعاليم الإسلام من مضمونها وروحها حتى تصير مجرد حركات ورسوم باهته لا حظّ للمسلم منها إلا التكرار بحكم الإلف والعادة.

وباستقراء الواقع تجد الكثيرين لا يتذوّقون المعنى الحقيقي لما جاء به الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً، لذلك حُرِموا نعمة التأثير في غيرهم ففاقد الشيء لا يعطيه، أو لا يحرصون على أن يبتغوا بكل حركاتهم وسكناتهم المعتادة وجه الله تعالى باستحضار نية التقرّب إليه بفعلها من أكل وشرب واضطجاع، أو أن يشركوا مع الله غيره في كل معروف يصنعونه!

وكل هذه آفات جعلت البعض يميل عن العبادة بقدر ميله للعادة الخالية من نية التقرُّب إلى الله تعالى، ولذلك قال أهل العلم في تفسير تلك الآية الكريمة: "يدُلّ على أنه يؤديه مع الإخلاص، وأكَّدَه بقوله: ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾[الأنعام: ١٦٣]، وهذا يدلّ على أنه لا يكفي في العبادات أن يؤتى بها كيف كانت بل يجب أن يؤتى بها مع تمام الإخلاص، وهذا من أقوى الدلائل على أنّ شرط صحة الصلاة أن يؤتى بها مقرونة بالإخلاص"(٤٢)، فإنّ كلمة التوحيد في الإسلام لا تخرج عن إفراد الله تعالى بالاستعانة والتوجه ظاهراً وباطناً، والاعتقاد التام بأنه سبحانه لا شريك له في ألوهيته ولا نِدّ له ولا مثل ولا ولد.

وقد كان للقرآن الكريم والسنة المطهرة منهج في عرض قضية العبادة وحثِّ المدعوّين على العمل بها، بدا ذلك في الأمر المباشر من الله عز وجل بعبادته دون سواه، فكثرت النصوص الداعية إلى ذلك صراحة، من مثل قوله تعالى ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[النساء: ٣٦] وحكم بذلك علي جميع خلقه، فقال جلّ شأنه ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وتارة يربط القرآن الكريم بين الأمر بعبادته وحده دون سواه بما يستأهل به ذلك من خلال ما أنعم به علي الإنسان وبما سخره من المخلوقات لأجله، من مثل قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢] وقد كان من أهم المقاصد التي راعتها الرسالة الخاتمة من تشريع العبادات وثمراتها تهذيب خلق العبد، فقد اقترنت العبادات في الإسلام بالدعوة إليه تهذيب الخلق.

والمتتبع للنصوص التي تتحدّث عن العبادات يجد ذلك الاقتران واضحاً جلياً، فإنّ من أجلّ غايات العبادات وحِكَمها بعد تأكيد الصلة بين الله والإنسان، واستمساك المسلم بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، ذلك هو تزكية النفس وتهذيب خلقها وصولاً بها إلى أعلى مدارج الكمال الخلقي ومكارمه، حتى يصبح الإنسان بأداء ما افترض عليه من عبادات وشعائر طاهراً نقياً

(٤٢) مفاتيح الغيب للرازي (١٤/١٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

مجيباً لنداء خالقه، يدلّ بذاته على نفسه، لا تؤثر فيها دوافع المعصية، وبواعث الخلق السيء من الاستفزاز والغضب، فيصير من أحسن الناس خلقاً ومن أطيبهم سيرة ومن أنبلهم سلوكاً، وهذا ما يجب أن يسترعى اهتمام المسلمين وانتباههم في أن يتلمسوا الحكمة والغاية مما تعبدهم الله به من عبادات وشعائر فرائض ونوافل فتتشرب نفوسهم مقاصدها فيكوّنون مجتمعاً ربانياً يقوم على أساس من مكارم الأخلاق، وتوضيحاً لما سبق جاء الأمر بالصلاة في عظة لقمان عليه السلام كأبرز مظاهر العبادة لله؛ فالصلاة فضلاً عن ثمارها الروحية فإن لها أثراً قوياً في تقويم السلوك إذا جاءت تامة غير منقوصة.

وقد ربط القرآن الكريم بين شعيرة الصلاة وكثير من فضائل الخلق قصداً إلى التحلي بها فقال: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٥]، فمن أراد الصلاة نهته عن شرب المسكر وكل ما يذهب العقل، كما أكد القرآن على أنّ إقامة الصلاة تامّةً واتباعَ الشهوات هما على طرفي نقيض لا يجتمعان، فإذا ضاعت الصلاة اتبعت الشهوات قال تعالى ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩].

○ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

من المضامين الدعوية التي شملتها عظة لقمان قضيةُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك في قوله تعالى حكايةً عنه وهو يعظ ابنه قائلاً ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [لقمان: ١٧]، وقد عقَّب الوصية بالأمر بإقامة الصلاة، وما ذاك إلا لأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال ابن جرير الطبري: "﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ يقول: وأمر الناس بطاعة الله، واتباع أمره ﴿ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ يقول: وانه الناس عن معاصي الله ومواقعة محارمه"(٤٣)

ويجب على الداعية أن يدرك أنّ هذه القيمة هي صُلب دعوته ومادّتها، وأنهما وجهان لعملة واحدة، وما استحقّت الأمة الخاتمة خيريتها إلا لكونها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، قال تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠] وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "الدعوة إلى الله تتضمّن الأمر بكل ما أمر الله به، والنهي عن كل ما نهى

(٤٣) جامع البيان للطبري (٥٥٨/١٨).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

عنه، وهذا هو الأمر بكل معروف، والنهي عن كل منكر، والرسول صلى الله عليه وسلم قام بهذه الدعوة، فإنه يأمر بكل معروف وينهى عن كل منكر"(٤٤).

والداعية في ذلك لا يدّخر جهداً في النشر والتبليغ، وكلما سنحت له فرصة البلاغ كان أحرص الناس على استثمارها والإفادة منها.

ثمّ تأتي الوصية اللازمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ختام الآية الكريمة بقوله تعالى ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ ﴾ [لقمان: ١٧] "ووجْهُ تعقيب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بملازمة الصبر أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يَجُرّان للقائم بهما معاداةً من بعض الناس أو أذى من بعض، فإذا لم يصبر على ما يصيبه من جراء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوشك أن يتركهما"(٤٥).

وفيه إشارة إلى أنّ طريق الدعوة يحتاج إلى صبر الداعية وجَلَدِه، فقد جرت سنة الله في الدعاة إليه أن ينالهم الأذى حسياً ومعنوياً، فلزم وجود صبر يتخطّون به هذه العقبات والمشكلات، وقد خاطب الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فقد أوذوا وصبروا، وهذا التوجيه الإلهي هو أيضا لدعاة العصر، ولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة والمثل، قال سبحانه ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٢١]

المطلب الثالث: المضامين الدعوية في مجال تهذيب الأخلاق.

من القضايا الدعوية التي اشتملت عليها عظة لقمان عليه السلام لابنه قضيةُ تهذيب الأخلاق وتقويمِ السلوك، إذ يقول الله تعالى ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴾ [لقمان: ١٨]

يقول الطاهر بن عاشور: "انتقل لقمان بابنه إلى الآداب في معاملة الناس، فنهاه عن احتقار الناس وعن التفخر عليهم، وهذا يقتضي أمره بإظهار مساواته مع الناس وعدّ نفسه كواحد منهم ...

(٤٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٦١/١٥)..

(٤٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦٥/٢١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

والمعنى: لا تحتقر الناس، فالنهي عن الإعراض عنهم احتقاراً لهم لا عن خصوص مصاعرة الخد فيشمل الاحتقار بالقول والشتم وغير ذلك ...

والمَرح: فرْط النشاط من فَرح وازدهاء، ويظهر ذلك في المشي تبختراً واختيالاً فلذلك يسمى ذلك المشي مَرَحاً ...

وموقع قوله ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ بعد ﴿ وَلَا تَمۡشِ ﴾ مع أنّ المشي لا يكون إلا في الأرض هو الإيماء إلى أنّ المشي في مكان يمشي فيه الناس كلهم قويّهم وضعيفهم، ففي ذلك موعظة للماشي مرحاً أنه مساو لسائر الناس"(٤٦).

وفي قوله تعالى ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٩] يقول ابن كثير: "وقوله: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ ﴾ أي: امش مقتصداً مشياً ليس بالبطيء المتثبّط، ولا بالسريع المفرط، بل عدلاً وسطاً بين بين، وقوله: ﴿ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ ﴾ أي: لا تبالغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه، ولهذا قال: ﴿ إِنَّ صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾قال مجاهد وغير واحد: إنّ أقبح الأصوات لصوت الحمير، أي: غايةُ مَن رفع صوته أنه يشبه بالحمير في علوّه ورفعه، ومع هذا هو بغيض إلى الله تعالى، وهذا التشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريمه وذمَّه غايةَ الذمّ"(٤٧).

وهي دعوة إلى التزام كل خلق محمود، وتجنب كل خلق مذموم وسلوك رديء، وترغيب للمرء أن يراعي الآداب العامة التي ترسم سمته وهيئته كمسلم يعلن عن نفسه بمظهر حسن يتميز به عن غيره من أرباب الأديان والمذاهب والتيارات الأخرى.

وقد سمت الدعوة الإسلامية في هذا الباب من خلال وجود منهج إلهي يضع الناس أجمعين داخل إطار من حسن المعاملة، فيعيشون آمنين على دمائهم، وأعراضهم، وأموالهم، حيث إنّ أُمّةً بلا خُلُق فاضل هي أُمّةٌ هزيلة لا ضابط لسلوكها، فهي تعيش وتخبط في ساحة من الهمجية والفوضوية بلا إلزام من قانون خلقي ينصف المظلوم ويأخذ على يد الظالم ويضع قواعد التعامل وأساس التعايش، وأُمّةٌ بلا خُلُق رشيد تنتهك فيها الحرمات وتستباح فيها الأموال والأعراض وتخدر العقول، لذلك كان من كمال العناية الإلهية أن أرسل الله ﷻ رسله الكرام إلى خلقه بالرسالة الخاتمة، وجعل الأخلاق جزءاً لا يتجزأ من هذا الدين.

والعقل وحده – مهما كان – لا يستطيع أن يعطي المنهج الخُلُقي الكامل الذي لا يعتريه قصور أو خلل والذي تستطيع أن تحيا الأمة من خلاله حياة مطمئنة تبدو فيها صورة الحق والخير والعدل، نعم قد يُعطي العقل صوراً خُلُقية على أساسٍ من الخير

---

(٤٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١/ ١٦٦).

(٤٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٠٣/٦).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

والفضيلة وهذا لا خلاف فيه، وإنما يأتي القصور في المنهج تبعاً لتفاوت العقول في رؤيتها للمصلحة المرجوّة من وراء ذلك الخلق دفعاً ونفعاً، لذلك فإنّ الخلق الحسن إنما يكون صادراً عن وحي إلهي خبير بطرائق البشر وطبائعهم ويمثل ركناً ركيناً في الديانة لا تتحقق إلا به، وبالمنهج الإلهي تتضح معالم العلاقة الصحيحة بين الله والإنسان وبين الإنسان وأخيه الإنسان وسائر المخلوقات في هذا الكون الفسيح، ومن ثم كانت الدعوة إلى التهذيب الخُلُقي مقصداً وهدفاً من مقاصد الدين الإسلامي، يرمي إلى تحقيقه داخل المجتمع المسلم لتستقر له الحياة، ومن أجل ذلك كانت "الأخلاق في الإسلام لها قيمة ذاتية فهي غايات تقصد لذاتها وليست وسيلة لتحقيق غايات أخرى، فالأخلاق في الإسلام لا ترتبط بقواعد المنفعة بحيث تدور معها وجوداً وعدماً، وهي كذلك لا ترتبط بمذاهب اللذّة التي عرفتها المذاهب الخلقية لدى بعض فلاسفة اليونان، وإنما الأخلاق الإسلامية هي أهداف ينبغي السعي إلى تحقيقها بغضّ النظر عما يؤدّي إليه اختلاف وجهات النظر بشأنها"(٤٨).

ولما كانت الأخلاق في الإسلام صادرة عن وحي إلهي جاءت متجاوبةً مع فطرة الإنسان وطبيعة تكوينها من حيث ما أودع الله فيها من طريق معرفة الخير ومعرفة الشر، فالإنسان يدرك بفطرته أنّ هذا خير يجب فعله ويفتخر بفعله، وذاك شرّ يجب تركه وإخفاء فعله، ومن الناس من تكون له الأخلاق الحسنة طبعاً وسجيّة فهي تصدر عنه بلا جهد ومشقة، ومن الناس كذلك من يكون صاحب خلق سيء سجية وطبعاً فلا يجد أدنى وازع من دين أو ضمير، وصنف ثالث يتخلّق بالخلق الحسن ويجاهد نفسه في ذلك فهو يحتاج إلى الرياضة ومجاهدة النفس وتَعَوُّد الخلق الفاضل حتى يصير له سجية وطبعاً، فمن أراد من هذا الصنف خلقاً حسناً عوّدَ نفسه على فعل الخير وعمل الطاعات، واتخاذه ﷺ قُدوةً خُلُقيةً وأسوة سلوكية.

ولأهمية هذا المقصد في الإسلام جاء مرتبطاً بالإيمان بالله تعالى، **ففي صحيح البخاري من حديث أبي شُرَيْحٍ الْعَدَوِيِّ قال: سَمِعَتْ أُذُنَايَ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ حين تَكَلَّمَ النبي ﷺ فقال: «من كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ.**

قال: وما جَائِزَتُهُ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فما كان وَرَاءَ ذلك فَهُوَ صَدَقَةٌ عليه، وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ"(٤٩).

(٤٨) الأخلاق في الإسلام للمليجي (ص١٤٩).

(٤٩) صحيح البخاري (٥/٢٢٤٠) برقم ٥٦٧٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

ولقد كان للدعوة الإسلامية منهجها الراشد في حثّ الناس على اكتساب حسن الخلق، بترغيبها في التخلق بأخلاق الله ﷻ، والتأمل في سير الأنبياء والمرسلين، والاقتداء بخلقهم الكريم صلوات الله عليهم أجمعين.

وحين يأتي التوجيه في هذه العظة البالغة من أب لابنه، فإنما يشير ذلك إلى دور الأُسرة في غرس القيم الأخلاقية في نفوس النشء وتربيتهم تربية صحيحة تقوم دعائمها علي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم، وللمؤسسة التعليمية دورها في رعاية النشء وتعديل سلوكهم عند الزيغ والانحراف وتعليمهم أمور دينهم وغرس المبادئ والقيم الإسلامية في نفوسهم، وللإعلام دوره في ترسيخ الأخلاق الإسلامية والارتقاء بالذوق العام والبعد عن المتاجرة بمشاكل المجتمع وقضاياه، والعمل علي تغليب المصلحة العامة علي المصلحة الشخصية، ثم يأتي دور الدعاة إلى الله تعالى متوازياً مع تلك المؤسسات، وقد نصبوا أنفسهم لإرشاد الناس وطلب عودتهم إلى الله تعالى على المستوى الفردي والجمعي، وتضطلع المؤسسات الدينية بهذا الدور ولا تألوا جهداً ولا تدخر وسعاً في إنقاذ الناس مما أصابهم من تفسخ خلقي، مستخدمة ما أتيح لها من أساليب ووسائل مقروءة ومسموعة.

المبحث الثالث: المضامين الدعوية في أساليب الدعوة في ضوء عظة لقمان.

المطلب الأول: أسلوب ترتيب الأولويات

وتظهر ملامح أسلوب ترتيب الأولويات في عظة لقمان في القرآن: البدء بعرض قضية التوحيد، وما يتصل بها من قضايا، ثم الحديث عن العبادات وأنها مما يستلزمه التوحيد الخالص لله تعالى، ثم الحديث عن تهذيب الأخلاق وتقويم السلوك، وبيان أثر ذلك في المجتمع المسلم أمناً وأماناً، سلاماً واستقراراً.

ترتيب الأولويات يعني: البدء بالأهم فالمهم فالأقل أهمية، فهذا مما تصغي إليه الآذان، وتميل إليه القلوب، وتنتبه له العقول، وقد ثبت في ديننا ما يدلّ على ذلك دلالة واضحة، إذ كان منهج الأنبياء والمرسلين في دعوتهم لأقوامهم تصحيح العقيدة أوّلاً في أصل لا يستقيم إيمان العبد إلا به، وكان التوحيد صدْر دعوتهم جميعاً كما قال تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥] ثم الانتقال إلى تهذيب الأخلاق وتقويم السلوك، وأسوق في ذلك مثالاً واحداً عبر آيات تناولت هذا المنهج في دعوة الأنبياء والمرسلين حيث يقول الله تعالى ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ [هود: ٨٤، ٨٥]، وفي هذا الموطن نجد شعيباً "أمرهم بثلاثة أمور:

أحدها: إصلاح الاعتقاد، وهو من إصلاح العقول والفكر.

وثالثها: صلاح الأعمال والتصرفات في العالم بأن لا يفسدوا في الأرض.

ووسط بينهما الثاني: وهو شيء من صلاح العمل خص بالنهي؛ لأنّ إقدامهم عليه كان فاشياً فيهم حتى نسوا ما فيه من قبح وفساد، وهذا هو الكفّ عن نقص المكيال والميزان.

فابتدأ بالأمر بالتوحيد لأنه أصل الصلاح، ثم أعقبه بالنهي عن مظلمة كانت متفشية فيهم، وهي خيانة المكيال والميزان"(٥٠).

وبيّنت السنة النبوية هذا الأسلوب بطريقة عملية في الحديث الصحيح من رواية **ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رضي الله عنه على الْيَمَنِ قال إِنَّكَ تَقْدمُ على قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تَدْعُوهُمْ إليه عِبَادَةُ اللَّهِ فإذا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قد فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فإذا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عليهم زَكَاةً من أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ على فُقَرَائِهِمْ فإذا أَطَاعُوا بها فَخُذْ منهم وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ الناس** "(٥١) يقول صلي الله عليه وسلم لمعاذ: "إنك تأتي قوماً أهل كتاب" أي: انتبه؛ فإن فيمن تقدم عليهم أهل كتاب فكن مراعياً واقع هؤلاء القوم واستجمع همتك في مخاطبتهم.

يقول الحافظ ابن حجر: "هي كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجُهّال من عبدة الأوثان"(٥٢)

ويوصيه بأن يبدأ بالأهم فالمهم، وفي كل مرّة يقول له: "فإذا ....." تفاؤلاً بحصول ما يدعوهم إليه.

---

(٥٠) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣٦/١٢).

(٥١) صحيح البخاري (٥٢٩/٢) برقم ١٣٨٩.

(٥٢) فتح الباري لابن حجر (٣٥٨/٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

المطلب الثاني: أسلوب الموعظة الحسنة في ضوء عظة لقمان.

أسلوب الموعظة الحسنة، وله صوره التي تراعي تنوع نفوس المدعوين وأحوالهم، وقبل بيان ذلك نعطي إشارة حول تعريف العلماء لأسلوب الموعظة الحسنة

تعريف الموعظة في اللغة:

الموعظة مأخوذة من الكلمة "وعظ" ومعناها كما جاء في لسان العرب: "وعظ: الوعظ والعِظَة والموعظة: النصح والتذكير بالعواقب، قال ابن سِيْدَه: هو تذكيرك للإنسان بما يليّن قلبه من ثواب وعقاب"(٥٣).

ويشمل الوعظ التذكير بما يحرك العاطفة ويلين الفؤاد باستخدام أسلوبي الثواب والعقاب، أو الترغيب و الترهيب، من حيث ارتباطهما بالعاطفة واحتياجاتها ارتباطاً وثيقاً، "وقد يكونان في مقدمة أساليب الحوار الدعوي، فمردّهما العاطفي النفسي يوطد ويؤكد فعاليتهما، إذ لهما قدرة نافذة في فتح مغاليق النفوس، فقد تؤثر على الناس أساليب شتى، ولكن الأساليب النفسية تفوق

(٥٣) لسان العرب لابن منظور (٤٦٦/٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

غيرها كثيراً في أهميتها وخطورة استعمالها في نتائج الدعوة من نجاح و إخفاق، فيحتاج هذان الأسلوبان إلى قدرة فائقة في التعامل معهما من حيث حسن اختيار كل منهما، ومتي وكيف يستخدمهما، فإن تحريك العاطفة وجذبها من الأولويات في أسلوب الداعي"(٥٤).

وفيما يلي بيان هذين الأسلوبين بشيء من التفصيل:

أولاً: أسلوب الترغيب:

– تعريف الترغيب:

لتعريف "الترغيب" في اللغة معانٍ عدة، أظهرها:

التضرع والمسألة، يقال" رَغِب "فلانٌ رغباً ورغبةً: حرص على الشيء وطمع فيه وإليه ابتهل وضرع وطلب، ويقال: رغب إليه في كذا وكذا: سأله إياه"(٥٥)، وبذلك فإنّ المعنى اللغوي لمادة الكلمة يدل على الرغبة في الشيء والدعوة إليه، والترغيب فيه بذكر محاسنه وفوائده، ويدل كذلك على الزهد في الشيء إذا رغب الإنسان عنه ولم يلتفت إليه.

– أما تعريفه في اصطلاح الدعاة:

فقد عرّفه الدكتور عبد الكريم زيدان بقوله: "كلّ ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه" (٥٦)، ولا يكون ذلك إلا بمخاطبة وجدان المدعو بإبراز العناية به والحرص عليه وترغيبه في الحق بذكر ما يعود عليه من نفع في الدنيا والآخرة، وما يدفعه عنه من مضرة في عاجله وآجله.

ويمكن استخلاص ملامح أسلوب الترغيب في عظة لقمان لابنه في نقاط مجملة على النحو التالي:

– الحرص والشفقة بالمدعو ومناداته بما يشعر بالقرب وإرادة الخير له، وما ينتجه من تليين الفؤاد ومخاطبة الوجدان.

– الترغيب في قيمة الصبر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه من عزم الأمور.

– الترغيب في حُسن الخلق، وإظهار سمت الوقار بالبعد عما يناقضه من سلوكيات مرفوضة.

–توظيف أسلوب الترغيب في مجالات الدعوة:

---

(٥٤) الحوار في دعوة النبي صلي الله عليه وسلم – دراسة دعوية للملاحي (٤٢٤/٢).

(٥٥) المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرون (٣٥٦/١).

(٥٦) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان (ص٤٣٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

وهو من أهم أساليب الدعوة إلى الله تعالى ومن أجدى تطبيقات المنهج العاطفي في الدعوة إليه سبحانه، استخدمه أنبياء الله تعالى في دعوتهم، وفي أسلوب الترغيب مزية يحتاجها الداعية في دعوته، وهي تقدير أصحاب الهمم العالية الذين تطمح نفوسهم لمعالي الأمور، ومعلوم مدى ما يحدثه التقدير المعنوي أو المادي في النفس البشرية وتحفيزها على العمل والاستفادة من الطاقات، واستغلال ما وهبه الله تعالى للإنسان من مواهب وملكات في طلب الطاعات والمسارعة إلى الخيرات، وشاهد ذلك ما رواه الإمام الترمذي في سننه من حديث **أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ أول زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة ضوء وجوههم على مثل ضوء القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على مثل أحسن كوكب دُرِّي في السماء، لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حُلّة يرى مُخّ ساقها من ورائها"**(٥٧) .

يقول صاحب تحفة الأحوذي: "قوله: (إنّ أول زمرة) أي: جماعة وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، (على مثل ضوء القمر ليلة البدر) أي: وجوههم على مثل ضوء القمر ليلة البدر.

والزمرة الثانية وهم الأولياء والصلحاء على اختلاف مراتبهم في الضياء"(٥٨)

وحين يذكر الداعية ذلك للمدعوين وبيان ثواب الطائعين منهم يخلق في نفوسهم شعوراً ودافعاً للاستزادة من هذا الثواب وذاك النعيم، والتنافس في ميادين الطاعات للفوز بأعلى الدرجات، ولذلك شاهد في القرآن الكريم والسنة النبوية مطهرة، فمن القرآن الكريم يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١] ثم يعرض القرآن الكريم معالم تلك التجارة الرابحة مع الله عز وجلّ في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [الصف: ١٠ – ١٢]

يقول الفخر الرازي: "التجارة: عبارة عن معاوضة الشيء بالشيء ... وكما أنّ التجارة في الربح والخسران فكذلك في هذا؛ فإنّ من آمن وعمل صالحاً فله الأجر والربح الوافر واليسار المبين، ومن أعرض عن العمل الصالح فله التحسر والخسران المبين"(٥٩).

---

(٥٧) سنن الترمذي (٦٧٧/٤) برقم ٢٥٣٥.

(٥٨) تحفة الأحوذي للمباركفوري (٢٠٢/٧).

(٥٩) التفسير الكبير للرازي (٥٣١/٢٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

ثانياً: أسلوب الترهيب:

-تعريف الترهيب:

لغة مأخوذ من مادة رهب، و"رَهِب: خاف ... ورَهبة أيضاً بالفتح ورُهباً بالضم، ورجل رَهَبُوت – بفتح الهاء – أي: مرهوب، وأرهبه واسترهبه: أخافَه"(٦٠)، فمادة الكلمة تدل في أحد معانيها على الخوف والتوعد من حدوث شيء ما، وضرورة اتقائه.

– الترهيب في اصطلاح الدعاة:

عرّف كثير من المشتغلين بالدعوة الترهيب بتعريفات كثيرة، نذكر منها ما يلي:

عرّفه الدكتور عبد الكريم زيدان بقوله: "كل ما يخيف ويحذر المدعوّ من عدم الاستجابة أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"(٦١) وعرّفه الدكتور علي عبد الحليم محمود بقوله: "الترهيب هو أسلوب قرآني يعالج النفس البشرية، وحبّها للأمن والسلامة وإيثارها البعد عن الخوف والخطر، وذلك من خلال تخويفها وتهديدها"(٦٢).

ويمكن استخلاص أسلوب الترهيب في عظة لقمان لابنه في عدة نقاط مجملة فيما يلي:

– تحذيره من مغبّة الشرك وسوء العاقبة.

– التخويف بيوم الحساب والوقوف بين يدي الله تعالى للفصل بين الناس حيث مردهم جميعاً إليه.

– استشعار خلق المراقبة والتحذير من اطلاع الله على البشر في السر والعلن، فما ينبغي لهم أن يعصوه سبحانه وتعالى.

– الترهيب بعدم محبة الله للعبد حال الاجتراء على المنكرات واقتراف السيئات.

- توظيف أسلوب الترهيب في مجالات الدعوة:

والترهيب يكون بإثارة عاطفة الإنسان بتخويفه من عذاب الله تعالى، وما أعدّه لعصاة في الآخرة من عذاب أليم، ويستخدم الداعية هذا الأسلوب مع صنفٍ من المدعوين قست قلوبهم وغلظت أفئدتهم فتعلقوا بالدنيا ومغرياتها، وأفنوا أعمارهم في طلب لذاتها، وانصرفت هممهم عن طلب الآخرة والإعداد لها حتى طغى عندهم الجانب المادي على الروحي، وهؤلاء لا يوقظهم إلا

---

(٦٠) مختار الصحاح للرازي (١/١٣٠).

(٦١) أصول الدعوة، د عبد الكريم زيدان، ص ٤٣٧.

(٦٢) الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة لرقية نياز (ص٢٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

التخويف والترهيب حتى يحملهم على الامتثال حرصاً على نجاتهم يوم تزل الأقدام، ولسان حال الداعية يقول: إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم عظيم.

وقد يرتبط استعمال الترهيب بفوات ما يحرص عليه الإنسان وحرمانه منه، و يمثّل ذلك عقاباً معنوياً، ولطالما حرص الإنسان علي استبقاء ما قد يعرض نفسه للحرمان منه نتيجة التقصير والعصيان، **ففي صحيح مسلم من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ هل نَرَى رَبَّنَا يوم الْقِيَامَةِ قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نعم قال هل تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا ليس مَعَهَا سَحَابٌ وَهَلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا ليس فيها سَحَابٌ قالوا لَا يا رَسُولَ اللَّهِ قال ما تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يوم الْقِيَامَةِ إلا كما تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا إذا كان يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ ما كانت تَعْبُدُ فلا يَبْقَى أَحَدٌ كان يَعْبُدُ غير اللَّهِ سُبْحَانَهُ من الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إلا يَتَسَاقَطُونَ في النَّارِ حتى إذا لم يَبْقَ إلا من كان يَعْبُدُ اللَّهَ من بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ لهم ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قالوا كنا نَعْبُدُ عُزَيْرَ بن اللَّهِ فَيُقَالُ كَذَبْتُمْ ما اتَّخَذَ الله من صَاحِبَةٍ ولا وَلَدٍ فَمَاذَا تَبْغُونَ قالوا عَطِشْنَا يا رَبَّنَا فَاسْقِنَا فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلا تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إلى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ في النَّارِ ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لهم ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قالوا كنا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ بن اللَّهِ فَيُقَالُ لهم كَذَبْتُمْ ما اتَّخَذَ الله من صَاحِبَةٍ ولا وَلَدٍ فَيُقَالُ لهم مَاذَا تَبْغُونَ فَيَقُولُونَ عَطِشْنَا يا رَبَّنَا فَاسْقِنَا ...**"[٦٣].

"ولتحقيق هذا الهدف ينبغي للداعية أن يراعي ويعرف مقامات الناس بالنسبة لهذا الترهيب، ومن هذه المعرفة يدخل عليهم بالترهيب، ومعلوم أنّ الناس في الخوف مقامات مختلفة، منهم من يخاف فوات المكاسب الدنيوية والحرمان من السعادة المادية والمعنوية والمتمثلة في سعة الأرزاق وكثرة الأولاد والعافية والراحة والأمن والذكر الحسن"[٦٤].

لذا يجب على الداعية أن يراعي ذلك الاختلاف حتى يكتب له التوفيق في استخدام هذا الأسلوب. وقد يكون الترهيب بإيقاظ عاطفة القرابة وغريزة حبّ المال عن طريق إثارة الإحساس بقيمتهما واحتمالية فقدهما، **ففي صحيح البخاري من حديث ابن عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "الذي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ"**[٦٥].

---

(٦٣) صحيح مسلم (١/١٦٧) برقم ١٨٣.

(٦٤) الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة لرقية نياز (ص٦٥).

(٦٥) صحيح البخاري (١/٢٠٣) برقم ٥٢٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

ولقد كثرت أقوال العلماء في المراد من قوله صلي الله عليه وسلم: "فكأنما وُتِرَ أهلَه" وهي كلُّها تحمل معنى الترهيب من فوات صلاة العصر، فـ"قال الخطّابي: نُقِصَ هو أهلَه ومالَه وسُلِبَهم، فبقي بلا أهل ولا مال، فليحذر من يُفوّتها كحذره من ذهاب أهله وماله.

وقال أبو عمر [ابن عبد البرّ]: معناه كالذي يُصاب بأهله ومالِه إصابةً يطلب بها وِتراً – وهي: الجناية التي تَطلب ثأرها –، فيجتمع عليه غَمّان: غمُّ المصيبة، وغمُّ مُقاساة طلب الثأر.

وقال الداودي: يتوجّه عليه من الاسترجاع ما يتوجّه على من فقد أهله وماله، فيتوجّه عليه الندم والأسف لتفويته الصلاة.

وقيل: معناه فاته من الثواب ما يلحقه من الأسف، كما يلحق من ذهب أهله وماله"(٦٦).

المطلب الثالث: أسلوب التوكيد.

أسلوب التوكيد "من أساليب اللغة العربية الكثيرة الاستعمال، وهو يعني الإحكام والتثبيت، وهو لفظ تابع لما قبله يقوى به، ويزيل ما قد يتوهّمه المتلقّي سامعاً كان أم قارئاً من احتمال أو تردُّد أو شكّ في قبوله، فالكلام يؤكد لإزالة الشك أو التردّد عند المتلقّي، فعندما يكون السامع أو المتلقي خالي الذهن مصدِّقاً ما تقول سيق الكلام إليه من غير توكيد، أما إذا كان متردّداً أو شاكّاً فيكون سوق الكلام إليه مؤكّداً"(٦٧).

ولقد استخدم لقمان عليه السلام أسلوب التأكيد في عظته لابنه كثيراً؛ لِمَا له من أثر في نفس المدعو إفهاماً وترسيخاً للقيم والمعاني، وإشعاراً بأهمية ما يطلب منه من أمر أو ترك؛ إذ يقول لابنه بصيغة التأكيد: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣] في معرض بيانه لمغبّة الشرك حيث اختفاء قيمة العدل، وتَعرُّض النفس للعقاب في الآخرة، وكذلك في بيان ثمرات الطاعة، ومنها الصلاة التي هي أوثق الصلات بين العبد وربه، فيأتي التأكيد على أنّ الصلاة التامة تنأى بالعبد عن الفحشاء والمنكر، وعن كل ما لا يليق من سفاسف الأمور، وفي مجال السلوك أيضاً استخدم لقمان عليه السلام صيغة التأكيد ليدل على أهمية الأخلاق في تكريم الإنسان وتفضيله على كثير من المخلوقات، وهكذا نجد أسلوب التأكيد يتخلل هذه العظة ليعطي للدعاة درساً في الدعوة بتفعيل هذا الأسلوب لبيان أهمية الأمر محل الدعوة.

---

(٦٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (٣٨/٥).

(٦٧) دلالة أسلوب التوكيد في سورة الزخرف لانتصار الشرع – مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل، العدد ٢٩/ ٢٠١٦م، ص٧١٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

المطلب الرابع: أسلوب الرفق واللين والتلطف في الخطاب

يظهر هذا الأسلوب في عظة لقمان لابنه، حين يناديه بلفظ ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾ التي تُشعر بقرب الداعية من المدعو، وحنوّه به وعطفه عليه، ومزيد شفقة تجعل الداعية حريصاً على تحقيق النفع للمدعو ودفع الضرّ عنه، وقد تكرّر هذا اللفظ في ثنايا الموعظة تنبيهاً للدعاة وإشعاراً للمدعو بالقرب من الداعية.

وتأسيساً على ذلك فإنّ للكلمة الطيبة لها أثرها في النفس تقويماً وإصلاحاً، ودفعاً نحو الخير والرشد، وبها يستطيع الداعية فتح مغاليق القلوب، وإزالة ما ران عليها من آثار المعصية والبعد عن الله تعالى، والداعية إذ يستخدم هذا الأسلوب فهو بمثابة الحادي الذي يقود تلك الأرواح إلى ربها على نحوٍ لا تنفر منه النفوس ولا تشرد منه العقول، فكم من أناس لانت طباعهم، واستكانت جوارحهم بالقول الحسن والرِّفق في الخِطاب، ولقد استخدم الأنبياء والمرسلون هذا الأسلوب في دعوتهم لأقوامهم فآمن من آمن، وكفر من كفر.

وتبين مصادر الرسالة الخاتمة أهمية اللين والرفق كأسلوب دعوي له أثره في تأليف القلوب، وجمعها على الحق والخير، إذ يقول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولهذا الأسلوب شواهد كثيرة من القرآن الكريم، كما في قوله سبحانه ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وقوله ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] وما على الدعاة إلا أن يقتفوا الأثر، وينسجون على المنوال، وأن يطبقوا هذا المنهج واقعاً عملياً في حياتهم، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ أعرابياً بال في المسجد فقاموا إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تزرموه). **ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه**"(٦٨)، ثم يأتي بعد ذلك دور معلم البشرية صلى الله عليه وسلم – وهو المبعوث رحمة للعالمين – فيعطي لأصحابه وأمته منهجاً عملياً في الدعوة والتعليم، إذ ينهى هذا الأعرابي بلين القول وتلطف في الخطاب، ثم يأمر أصحابه الذين ثارت ثائرتهم من فعل هذا الأعرابي في مكان صلاتهم، فيأمرهم بالتيسير واللين في الدعوة.

يقول ابن حجر: "قوله: (فإنما بعثتم) إسنادُ البعث إليهم على طريق المجاز؛ لأنه هو المبعوث صلى الله عليه وسلم بما ذكر، لكنهم لما كانوا في مقام التبليغ عنه في حضوره وغيبته أطلق عليهم ذلك إذ هم مبعوثون من قبله بذلك، أي: مأمورون، وكان ذلك شأنه صلى الله عليه وسلم في حق كل من بعثه إلى جهة من الجهات يقول: يسروا ولا تعسروا "(٦٩).

وفي الحديث "الرفق في إنكار المنكر وتعليم الجاهل باستعمال التيسير وترك التعسير، ولذلك قال لأصحابه: (إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)، وفي رواية ابن ماجه فقال الأعرابي – بعد أن فَقِه –: فقام إليَّ – بأبي وأمي صلى الله عليه وسلم – فلم يؤنِّب ولم يَسُبّ، فقال: إنّ هذا المسجد لا يُبال فيه، وإنما بني لذكر الله والصلاة"(٧٠).

واستعمل النبي صلى الله عليه وسلم كذلك الرفق واللين في الدعوة والتعليم؛ **فعن أبي أمامة أنّ رجلًا أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي في الزنى، فصاح به الناس فقال النبي صلى الله عليه و سلم: أَقِرُّوه، فدنا حتى جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه و سلم: أتحبُّه لأمك؟ قال: لا، قال: وكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، قال: أتحبه لابنتك؟ قال: لا، قال: وكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم، قال: أتحبه لأختك؟ قال: لا، قال: وكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره فقال: اللهم كَفِّر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحَصِّن فرجه**"(٧١)

(٦٨) صحيح البخاري (٢٢٤٢/٥) برقم ٥٦٧٩.
(٦٩) فتح الباري لابن حجر (٣٢٤/١).
(٧٠) طرح التثريب في شرح التقريب للعراقي (١٣٨/٢).
(٧١) المعجم الكبير للطبراني (١٨٣/٨) برقم ٧٧٥٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

خاتمة

وتتضمن أهمّ النتائج والتوصيات

وبعدُ فقد هدف البحث إلى استجلاء القضايا الدعوية من خلال تحليل المشهد القرآني الذي حوى عظة لقمان عليه السلام لابنه، مستعرضاً جوانب من قضايا دعوية تعطي للداعية المعاصر زاداً معرفياً في منهجية الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.

وقد كان من أبرز **نتائج البحث الإجمالية**:

- تعرض العظة لأهم القضايا في الوجود الإنساني من حيث وجوب التوحيد ونبذ الشرك، وتهذيب الخلق، وتقويم السلوك.
- مراعاة العظة لفقه الأولويات، ودعم ما يهم المدعو أولاً.
- التنوع في الأساليب الدعوية بما يناسب ويراعي حال المدعو.

ثمّ كان من **نتائجه التفصيلية**، والتي تمثل إضاءات للداعية المعاصر في العملية الدعوية، ما يلي:

- السعي نحو إكمال النفس ثم تكميل الغير.
- تحذيره من مغبة الشرك وسوء العاقبة.
- التخويف بيوم الحساب والوقوف بين يدي الله تعالى للفصل بين الناس حيث مردهم جميعاً إليه.
- استشعار خلق المراقبة والتحذير من اطلاع الله على البشر في السر والعلن، فما ينبغي لهم أن يعصوه سبحانه وتعالى.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

- الترهيب بعدم محبة الله للعبد حال الاجتراء على المنكرات واقتراف السيئات.
- استشعار المسؤولية الدعوية نحو المدعو، فهو حريص عليه، شفوق به، لا يريد له إلا الخير.
- مراعاته لفقه الأولويات في الدعوة، حيث بدأ بترسيخ العقيدة الإسلامية، ثم الشريعة ثم إلى التهذيب الخلقي.
- التنوع في الأساليب الدعوية ما بين ترغيب وترهيب وتوكيد. إلخ
- الاستمرارية في عملية البلاغ وتعاهد المدعو، يشير إليها التعبير بلفظ المضارع " وهو يعظه".

أما أهمّ توصيات البحث فتتمثّل فيما يلي:

- الإكثار من الدراسات التي تعنى بتحليل المشاهد الدعوية في القرآن والسنة، للاستفادة منها في واقع الدعوة المعاصر.
- دعم البحوث المعنية بطرائق تربية النشء المسلم على العقيدة الصحيحة.
- العناية بالنشء بعقد دورات ولقاءات علمية بهدف التحصين العقدي، وتربيتهم على معرفة حقوق الآباء عليهم.
- مزيد اهتمام المؤسسات الدعوية بعقد دورات تدريبية مكثفة للدعاة تؤهلهم لمعالجة قضايا العصر بمنهج وسطي بعيداً عن الغلو والتطرف.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

Implications of Islamic Preaching in Lugman's (PBUH) Sermon

Analytical Study

Assistant Professor Dawa Islamic Culture Department, Faculty of Sharia and Islamic Studies

Dr. Abdulaziz Ibrahim Alshiban

Abstract:

One of the priorities and objectives of the preaching work is to consider the calls of prophets، messengers، and preachers to identify the preaching contents to understand their methodology in dealing with the issues contained in these contents and how the treatment was. In this context، this research and its title came.

(The Preaching Contents in Luqman's Sermon- Analytical Study) aims to reveal the preaching contents in Luqman's Sermon with an analytical approach، as seen by the preachers who use them in the contemporary preaching.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

Among the research results is the conclusion that the researcher confirmed that the sermon contains many preaching issues and their importance in human existence in terms of consolidating faith، cultivating morals، and correcting behavior.

In addition، the sermon takes into consideration the jurisprudence of priorities when dealing with preaching issues by supporting the issues that matter to the invitee in the first place and which comes as part of the priorities، in addition to the diversity in the preaching methods in accordance with the condition of the invitee.

Accordingly، the research stresses the importance of conducting many studies concentrating on the analysis of preaching scenes and extracting from them the contents that are beneficial to the preachers in their contemporary reality.

Among the recommendations is the one supporting the research concerned with the methods of raising Muslim children on the Islamic faith.

May God's prayers and blessings be upon our prophet Mohammed، his family، and all his companions.

المراجع والمصادر

- أحكام القرآن، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تاريخ النشر ١٤٠٥هـ،
- الأخلاق في الإسلام، د.يعقوب المليجي، مؤسسة الثقافة الجامعية – الإسكندرية، ط ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- الإشراف في منازل الأشراف، أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق: د نجم عبد الرحمن خلف، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م
- أصول الدعوة، د عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٨، ١٩٩٨م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية – بيروت.
- الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة، رقية بنت نصر الله نياز، جامعة محمد بن سعود الإسلامية – السعودية ١٤١٥ هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي– لبنان، ط١٩٨٣م.
- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: جماعة من المحقّقين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ٢٠٠١م.

جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: أبي محمد ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ٢٠٠٢م.
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ط١، ١٤١٩ هـ.
- التفسير الكبير، محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣ سنة ١٤٢٠هـ
- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط ١٤١٠هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: د.عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١، ٢٠٠٢م،
- الحوار في دعوة النبي صلي الله عليه وسلم – دراسة دعوية، عبد الرحمن بن يوسف الملاحي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – السعودية ١٤٢١ هـ.
- الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال السيوطي، دار الفكر– بيروت، ط ١٩٩٣م.
- الدعوة الإسلامية — أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش، دار الكتاب المصرى – القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م
- الدعوة، أد. حمد بن ناصر العمار، دار كنوز إشبيليا–السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ.
- دلالة أسلوب التوكيد في سورة الزخرف، م.د. انتصار خلف سلمان الشرع – جامعة بابل – كلية الدراسات القرآنية، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد ٢٩/ ٢٠١٦م،
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط ١٩٨٧م.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي–بيروت.
- طرح التثريب في شرح التقريب، عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي– بيروت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٣)، ص ص ١٦٣٣ – ١٦٧٥ (جمادى الآخر١٤٤٤هـ /يناير٢٠٢٣م)

- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة – بيروت.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر– بيروت.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥ ١٩٩٩م.
- مدارج السالكين، محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي المعروف بابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٩٧٣م
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن على المقري الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت.
- مع الله، الشيخ محمد الغزالي، دار القلم – دمشق – بيروت، ط١، ١٩٨٩م.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم – الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
- هداية المرشدين، الشيخ على محفوظ، دار الاعتصام – القاهرة، ط٥، ١٩٥٢م.